الوحدة السادسة: نظريات الاتصال الإنساني

1-مفهوم النظرية:

قبل أن نتطرق إلى أبز نظريات الاتصال لابد وأن نشير إلى جملة من التعريفات وعلى رأسها تعريف النظرية العلمية أولا، ثم النظرية الاتصالية ثانيا.

تعريف النظرية: كل شيء وأهم شيء في العلم لأن مداها أبعد من المعارف المجمعة أو المنقولة وهي ضرب من الاقتصاد الذهني يسهل جمع المعارف والاستغناء عن بعضها.

النظرية: تشير المصادر المتخصصة بالبحث العلمي والاتصالي معا بأن مصطلح النظرية درج على ألسنة الناس بأنها البرج العاجي أو الشيء الحقيقي أو الشيء ذو القيمة العملية الحقيقية.

وفي الواقع فإن المقصود بالنظرية في الأبحاث العلمية شيء مخالف للمألوف عن النظرية الاتصالية، فالنظرية العلمية توضح علاقة الأثر بالسبب بين المتغيرات وذلك بهدف الشرح أو التنبؤ بظواهر معينة.

أما بخصوص النظريات الاتصالية فإنه لا توجد نظرية اتصالية خالصة متفق عليها وعلى كيفية عملها أو تأثيرها على الجمهور بين علماء الاتصال أو الباحثين في حقل الاتصال، وإنما يوجد عدد من النظريات التي تقدم تصورات عن كيفية الاتصال وتأثيره، وفي الوقت ذاته تساعد هذه النظريات على توجيه البحث الاتصالي إلى مسارات معينة.

وفي العموم فإن أشهر النظريات الاتصالية التي عرفها الفكر الاتصالي عبر مسيرة تاريخ الاتصال الإنساني تتمثل في الآتي:

أولا: نظرية ماكلهون

فقد بحثت هذه النظرية في دور وسائل الاتصال وتأثيرها على المجتمعات وبالمناسبة فإن ماكلهون كان يعمل أستاذ للأدب الإنجليزي في جامعة كورتنو في كندا، ويعتبر من أشهر المثقفين في حقل الاتصال في النصف الثاني من القرن الماضي، وقد انطلقت نظريته من فكرتين:

- أن وسائل الاتصال هي وسائل للنشر والمعلومات والترقية والتعليم.
- أنها سلسلة من التطور التكنولوجي.

وفي هذا الصدد يقول ماكلهون أن مضمون وسائل الاتصال لا يمكن النظر اليه مستقلا عن تكنولوجيا الوسائل الاتصالية نفسها، فالكيفية التي تعرض بها المؤسسات الاتصالية الموضوعات والجمهور التي توجه له رسالتها يؤثران على ما تقوله تلك الوسائل، ولكن طبيعة وسائل الاتصال التي يتصل من خلالها الانسان تساهم في تشكيل المجتمعات أكثر مما يشكلها مضمون الاتصال. **(المشاقبة،2015، ص156)**

ثانيا: نظرية الغرس الثقافي

ظهرت هذه النظرية في أمريكا خلال عقد السبعينات كمنظور جديد لدراسة أثر الإعلام، ومضمون هذه النظرية باختصار أن مداومة التعرض للتلفاز ولفترات طويلة ومنتظمة تنمي لدى المشاهد اعتقادا بأن العالم الذي يراه على شاشة التلفاز هو الصورة الواقعية عن العالم، وجهود هذه النظرية مرتبطة بأعمال الباحث الأمريكي جورج جربنر. **(البوابة العربية،2024)**

ثالثا: نظرية ترتيب الأولويات

قام بتطوير هذه النظرية الباحثان ماكسويل ماكومبس ودونالد شو 1977 ملخص هذه النظرية أن وسائل الاتصال هي التي تحدد الأولويات التي تتناولها الاخبار، وتقوم بإعطاء أهمية خاصة لهذه الموضوعات،

مما يجعل من هذه الاخبار والموضوعات ذات أهمية وأولوية لدى الجمهور، وهكذا فإن مجرد إبراز وسائل الاتصال لموضوع ما يعطيه مضاعفة لدى الأفراد.

ويوضح الشكل التالي نموذج قدمه ماكويل ووبندال لترتيب الاهتمامات والأولويات، ويلاحظ مدى تناسب اهتمام الجمهور مع القضية المطروحة تبعاً لمدى اهتمام الوسيلة الاتصالية.

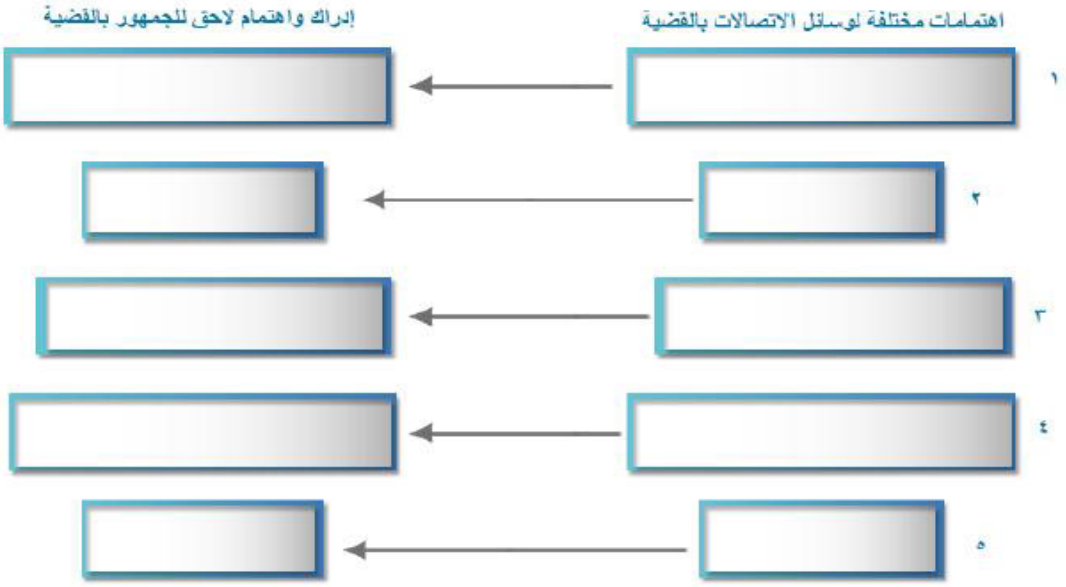

رابعا: نظرية الاعتماد على وسائل الاتصال

قد وضع كل من ساندرا بول روكيتش وميلغين ديلغر 1976 إطار لنظرية الاعتماد على وسائل الاتصال وتتبع نظرية الاعتماد على وسائل الاتصال العديد من الجذور الفكرية المشابهة لنظرية الاستخدامات والاشباعات فكلاهما يركز على العلاقة بين الأهداف الفردية والنظام الاتصالي، وهما نظريتان تتبعان مداخل وظيفية اجتماعية، يمكن القول إن نظرية الاعتماد هي نظرية بيئية تنظر إلى المجتمع باعتباره مركبا تسود بين أجزاء ارتباطات، ومن ثم تحاول تفسير هذه الارتباطات والعلاقات. **(الحاج، 2020، ص145)**

خامسا: النظرية الامبريقية

ظهرت هذه النظرية نتيجة لأعمال لازر سفيلد وهي تتميز بالمنهج الكمي والوظيفي والوصفي، وتهتم بالجانب الإداري لعملية الاتصال أي من الجانب الاقتصادي وتقدم خدمة بالمشتغلين في هذا الميدان بحيث تساعدهم على فرض نفوذهم وخدمة الثقافات المهيمنة واهمالها للمحيط الثقافي التاريخي. **(البوابة العربية،2024)**

سادسا: نظرية الانتشار والابتكار

انطلقت هذه النظرية من الدراسات والأبحاث المنجزة في إطار تمديد وتعميق العلاقات الشخصية، وأطلق عليها بعض الباحثين نظرية التأثير المحدود أو البحوث التي تجري حول انتشار المبتكرات أو الأفكار المستحدثة، وهذه النظرية تشبه نظرية تدفق وسائل الاتصال على مرحلتين ومع توسعها في مراحل التدفق ووسائطه.

سابعا: النظرية النقدية

انطلقت هذه النظرية بقيادة قدماء مدرسة فرانكفورت الألمانية من أمثال هوكايمر، أدورنو، ماكيوز، فروم، الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، وانتقلت هذه المسؤولية إلى مركز الدراسات الثقافية المعاصرة في مدينة برمنجهام الإنجليزية، فقد امتازت المدرسة النقدية الكلاسيكية من خلال الاعتماد على المنهج الكمي في التحليل و بالوظيفة الوضعية، بينما المنظرون النقديون الجدد ركزوا على تحليل المحيط الثقافي و الاجتماعي الذي تتم فيه عمية الاتصال، حيث أطلق البعض عليها المدخل الثقافي الاجتماعي.**(المشاقبة،2015، ص183)**

ثامنا: نظرية التنفيس

تعتمد هذه النظرية على مبدأ التطهير الخاص بالعواطف والمشاعر عبر التجربة الغير المباشرة، وتذهب هذه النظرية إلى أن الفرد إذا شعر بالكبت والغضب، فارتكب عملا عدوانيا، بدد هذا العمل غضبه، ونقله إلى حالة الهدوء، والمرحلة الثانية من هذه النظرية هي إمكانية تصريف

غضب الفرد تدريجيا عن طريق مشاهدة معركة في التلفزيون، وبذلك تفترض هذه النظرية وجود آثار جانبية للعنف، إذ أن مشاهة الأفراد لممثل في دور عنيف و عدواني تجعلهم يشاركون في أعمال العنف العدوانية، و يؤدي ذلك إلى خفض حاجة المشاهد إلى الانخراط في أعمال عدوانية حقيقية.

تاسعا: نظرية التمريض

تفترض هذه النظرية أن التعرض لمثير عدواني من شأنه أن يزيد من الإثارة النفسية للفرد، مما يزيد احتمال قيام الفرد بسلوك انساني، وتستخدم نظرية الاستثارة في تفسير إمكانية استجابة الأفراد وخصوصا الأطفال للعنف عند تعرضهم لمضمون تلفزيوني يحتوي مضمونا عنيفا، ويدعو باحثون إلى أهمية ملاحظة أن السلوك العنيف قد ينتج أحيانا عن مشاهدة مضمون ترفيهي أو دراما رومنسية.

ويرى أصحاب هذه النظرية أن الإحباط يزيد من احتمال الاستجابة العدوانية للأفراد ومن درجة هذه الاستجابة، كما يرى آخرون أن مدى التشابه بين ما يقدمه التلفزيون من صور العنف، وبين الظروف المثيرة للغضب والعنف التي يحاول الفرد المشاهد أن يتغلب عليها يمكن أن يزيد من الاستجابة مثل تشابه اسم وعمل وشكل معين في شخصية الفرد. **(الحاج،2020، ص170)**